

المثل السائر

وعهده بقلمى وهو يتحلّى من البيان بأسمائه وتبرز أنوار المعاني من ظلماته وقد أصبحت يدي منه وهي حمالة الخطب وأصبح خاطري أبا جهل بعد أن كان أبا لهب .
وهذا أحسن من الأول وأخلب عبارة فانظر أيهل المتأمل إلى ما فيه من التورية اللطيفة ألا ترى أن الخاطر يحمّد فيوصف بأنه وقاد وملتهب ويذم فيوصف بأنه بليد وجاهل وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان وكذلك حمالة الخطب هي المرأة المعروفة وإذا ذم القلم قيل إنه خطب وإنه صاحبه حاطب فلما نقلت أنا هذا إلى المعنى الذي قصدته جئت به على حكم المغالطة ووريت فيه تورية والمسلك إلى مثل هذه المعاني وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لا جرم أن الإجادة فيها قليلة .

ومما يجري هذا المجرى ما ذكرته في وصف شخص بمعالي الأمور وهو من أبر مساعيه أنه حاز قفل المكرمات ومفتاحها فإذا سئل منقبة كان مناعها وإذا سئل موهبة كان مناعها وأحسن أثرا من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب وألان جماحها فإذا شهد حومة حرب كان منصورها وإذا لقي مهجة خطب كان سفاها .

والمغالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاحينهما لقب خليفتين من بني العباس والسفاح أول خلفائهم والمنصور أخوه الذي ولي الخلافة من بعده وهما أيضا من النصر في حومة الحرب والسفح الذي هو الإراقة والمهجة دم القلب فكأنني قلت هو منصور في حومة الحرب ومريق لدم الخطوب وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح وهذا من المغالطة المثلية لا من النقيضة ولا خفاء بما فيها من الحسن .

ومن ذلك ما كتبت في كتاب إلى بعض الإخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الأنس بقربه يعقب إحاشا وأن تلك النهلة من لقائه تجعل الأكباد عطاشا فإن من شيمة الدهر أن يبدل الصفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا وما أقول